

## الدرس 24) من شرح كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

خالد المصلح

الحمد لله رب العالمين واصلي واسلم على البشير النذير والسراج المنير نبينا محمد وعلى اله واصحابه ومن اتبع سنته باحسان الى يوم الدين اما بعد يقول المصنف رحمه الله بكتاب دفعها من اضطراب - [00:00:00](#)

عن آيات الكتاب سورة الانفال سورة الانفال هي السورة التي ذكر الله تعالى فيها الغنائم وما يتعلق بها من الاحكام الانفال جاء عن عبد الله ابن عباس انها الغنائم وقد ورد ذلك عن - [00:00:19](#)

آآ غيره من المفسرين وقيل الانفال جمع نفل وهو ما يعطاه الغزاة مما يزيد على القسم مما يزيد على القسم وفق ما يراه ولي الامر آآ ينظر فيه بالاصح والاصل في - [00:00:45](#)

انفال في كلام العرب انه كل احسان يفعل تفضلا من غير وجوب كل احسان يفعل تفضلا من غير وجوب. هذا معناه بالاجمال. واما معناه في هذه السورة فهو ما ذكر ابن عباس - [00:01:17](#)

غيره من انه يطلق على الغنائم ويطلق ايضا على ما يكون من العطاء زائدا عن القسمة والنصيب الذي يأخذه الغزاة من المغنم ذكر في هذه السورة جملة من الايات التي ظاهرها التعارض - [00:01:48](#)

اول ذلك قوله جل وعلا انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اقرأ مع توكة بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم - [00:02:18](#)

هذه الاية تدل على ان وجل القلوب عند سماع ذكر الله من علامات المؤمنين وقد جاء في اية اخرى ما يدل على خلاف ذلك. وهي قوله وهي قوله وهو قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم - [00:02:41](#)

بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب. فالمنافاة بين الطمأنينة ووجل القلوب ظاهر واضح وجدت تعارض او وجه ما يتوهم من التعارض ان الله عز وجل ذكره في سورة الانفال - [00:02:57](#)

انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل هو الخوف المقرون بالهيبة والتعظيم وهذا عند ذكر آيات الله عز وجل وقد ذكر الله جل وعلا في سورة الرعد الذين امنوا - [00:03:14](#)

وتطمئن قلوبهم بذكر الله والطمأنينة السكن انت شاعل خوف الا بذكر الله تطمئن القلوب فالمنافاة بين الطمأنينة وهي السكن والانشراح وانقشاع الخوف والوجل وهو الخوف المقترن بالهيبة والتعظيم ظاهر فما الجواب - [00:03:34](#)

اما يتوهم من التعارض بين الايتين اية الانفال واية الرعد يقول رحمه الله والجواب عن هذا التعارض ان الطمأنينة والجواب عن هذا ان الطمأنينة ان الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ - [00:04:05](#)

عن الهدى كما يشير الى ذلك قوله تعالى كما يشير الى ذلك قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا. وقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوا وقلوبهم وجلة. انهم - [00:04:31](#)

ويا ربي هم راجعون اجاب المؤلف رحمه الله عن هذا التعارض الذي قد يتوهمه البعض بين الايتين ان الطمأنينة متعلقها مختلف عن متعلق الوجل فالطمأنينة التي ذكرها الله تعالى في قول الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله - [00:04:56](#)

تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد يعني بما تضمنه ذكر الله عز وجل من معرفته والعلم به الذي هو اصل السعادات ومناط الفلاح في الدنيا والاخرة واما الوجل فهو بالنظر الى - [00:05:20](#)

الخوف من سلبى الهداية وحرمانها وعدم حصولها ولذلك قال والوجل يكون عند خوف الزبغ والذهاب عن الهدى فيكون ذكر الله عز وجل موجبا للطمأنينة والانشراح بما تضمنه من المعارف والهدايات - [00:05:43](#)

وموجبا للخوف بالنظر الى خوفا عدم الهداية عدم العمل بما جاء به من الهدى وذكر لذلك جملة من الشواهد منها قوله تعالى في سورة الزمر تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم - [00:06:10](#)

ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهذا فيه خوفهم من سلب الهداية وكذلك قوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة. اي يفعلون ما يسر الله لهم من الطاعات وقلوبهم خائفة - [00:06:35](#)

الا يقبل منهم ما قاموا به من عمل وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون هذا ما ذكره المؤلف في الجمع وقد ذكر البغوي رحمه الله وجها اخر في الجمع وهو ان الوجل - [00:07:00](#)

عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب وهذا يوافق ما ذكره من حيث الجملة في المعنى ان متعلق الطمأنينة مختلف عن متعلق الوجل فالمؤلف حمل ما تعلق الطمأنينة على ما تضمنه ما يتضمنه ذكر الله من المعارف والوجل على ما - [00:07:19](#)

على ما يخشى من عدم حصول الهداية والحيلولة بين الانسان وبين تحصيلها واما البغوي وكذلك غيره من اهل التفسير فحملوا الوجل على اية الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر آيات الوعد - [00:07:51](#)

والثواب فالقلوب تجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه وذكر في مفاتيح الغيب وجها اخر في الجمع فقال اذا ذكر الله فان القلوب - [00:08:14](#)

تجل ويصيبها تعظيم وهيبة وخوف ثم اذا كمل ذلك فيها اي العلم بعظمته وهيبته اثمر ذلك طمأنينة وسكونا فيكون هذا بيان لحوال وليس لاختلاف المتعلق انما هي احوال الانسان واستدلوا لهذا - [00:08:50](#)

باية الزمر حيث قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانيا تقشعر منه جلود تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم اي يخافونه ثم هذي الحال الاخرى والمآل ثم تلين - [00:09:25](#)

جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي تطمئن الى ذكر الله. وهذا اقوى الالوجه في الجمع وقد جمعه قوله تعالى في سورة الزمر تقشع الرجوع تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين - [00:09:48](#)

قلوب جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله و هذا القول اقرب في الجمع بين الايتين وما ذكره الشنقيطي رحمه الله والبغوي له وجه لكن لعل هذا اقرب لانه مما بينه الله تعالى في - [00:10:06](#)

اية واحدة فيكون ما ذكره الله تعالى في الموضوعين محمول على حالين محمول على حالين فالوجل في حال البداءة والطمأنينة في حال اليقين ثم ذكر الاية الثانية فقال قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ما يحييكم - [00:10:33](#)

هذه الاية تدل بظاهرها على ان الاستجابة للرسول التي هي طاعته لا تجب الا اذا دعانا لما يحيينا ونظيرها قوله تعالى ولا ولا يعصينك في معروف وقد جاء في آيات اخر ما يدل على وجوب اتباعه مطلقا من غير - [00:11:03](#)

ايديك من غير قيد كقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني احببكم الله من يطع الرسول فقد اطاع الله والظاهر والظاهر ان وجه الجمع والله تعالى اعلم ان آيات الاطلاق. طيب الان واضح ما يوهم التعارض - [00:11:21](#)

في الايات حيث انه في اية الانفال كذلك في اية الممتحنة جاء تقييد حيث قال الله تعالى في اية الانفال يا ايها الذين امنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فهذه قيد اذا دعاكم لما يحييكم - [00:11:46](#)

هذه قيد في ما يجاب اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها الذين استجابوا استجبوا لله وللرسول قيد ذلك وشرطه اذا دعاكم لما يحييكم ومعلوم ان ما يدعو اليه النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به القرآن كله حياة - [00:12:07](#)

فهو روح وهو نور وهو احياء للقلوب واصلاح للاعمال او من كان ميتا فاحيينا وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في

الظلمات ليس بخارج منها وفي آيات اخر - [00:12:35](#)

كانت الممتحنة قال ولا يعصينك في معروف وهو لا يأمر الا بالمعروف فهل هذا تقييد لما يطاع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولا

يعصى وقد جاءت آيات اخر جاء فيها الامر - [00:12:53](#)

بالاخذ بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مطلقا دون قيد ما اتاكم الرسول فخذوه ولم يقيد ذلك بما يحیی ولا بالمعروف بل اطلقه

وجاء من غير قيد ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - [00:13:15](#)

وفي الاية الاخرى قال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فلم يقيد ذلك بشيء وكذلك قول من يطع الرسول ولم يقيده

بشيء فقد اطاع الله وكذلك قوله لقد - [00:13:37](#)

كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ولم يقيده بشيء فذكر المؤلف رحمه الله في الجمع فقال رحمه الله والظاهر ان وجه الجمع يعني

بين الآيات التي ورد فيها الامر بالاتباع - [00:13:54](#)

والاخذ بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير قيد وبين الآيات التي فيها تغيير ذلك بالمعروف او بما يحیی؟ الجواب والظاهر

ان وجه الجمع والله تعالى اعلم ان آيات الاطلاق مبينة انه صلى الله عليه وسلم لا يدعون الا لما يحيينا - [00:14:10](#)

من خير الدنيا والاخرة. فالشرط المذكور في قوله اذا دعاكم لما يحییكم متوفر في دعاء النبي صلى الله بدعاء النبي صلى الله

عليه وسلم لما كان عصمتي كما دل عليه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى. والحاصل ان آية اذا - [00:14:32](#)

دعاكم لما يحییكم وبينه انه لا طاعة الا لمن يدعو الى ما يرضي الله. وان الآيات الاخر بينت ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدعو ابدا

الا الى ذلك صلوات الله وسلامه عليه - [00:14:55](#)

فيكون ما ذكره الله تعالى من قيد في قوله اذا دعاكم لما يحییكم وفي قوله ولا يعصينك في معروف قيد كاشف غير مقيد يسميه

العلماء قيذا كاشفا او وصفا كاشفا - [00:15:11](#)

اي انه قيد يبين ويوضح ما يدعو اليه النبي صلى الله عليه وسلم وما يأمر به وليس انه لاخراج ما لا يتصل بهذا الوصف فان كل ما

يدعو اليه النبي صلى الله عليه وسلم موصوف بهذا الوصف - [00:15:30](#)

من انه معروف ومن انه يحیی من اخذ به ومن اقبل اليه هذا ما يجاب به عما قد يتوهم من تعارض فقوله اذا دعاكم لما يحییكم

وقوله في معروف وصف ملازم - [00:15:50](#)

فهو قيد كاشف ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم يذكر الله تعالى قيذا ل آ امر ويكون القيد لا يقصد منه التحديد والتقييد

والاخراج وانما غرضه وغايته ومقصوده التوضيح والبيان - [00:16:11](#)

مثال ذلك قوله تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله فمن لا يستجيب له الى يوم القيامة وهذا وصف لكل من يدعى من دون الله

ومن اضل ممن يدعو من دون الله - [00:16:41](#)

من لا يستجيب له وهذا وصف كاشف لانه ليس ثمة من يدعى من دون الله ويستجيب من امثلته ايضا قوله تعالى ولا تدعوا من دون

الله ما لا ينفعك ولا يضرك - [00:17:00](#)

فهذه ليست قيذا ان كل ما يدعى من دون الله لا ينفع ولا يضر فهذه القيود ليست قيودا آ مقيدة ومحددة ومخرجة غيرها بل هي

قيود يقصد بها بيان الوصف - [00:17:21](#)

المناسب للحكم فالتقييد في جميع هذا للبيان والايضاح لا لاخراج وصف مما ذكر فقوله جل وعلا يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله

وللرسول اذا دعاكم لما يحییكم هو بيان الوصف المناسب للحكم يعني لماذا - [00:17:44](#)

يستجاب لما دعا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم لانه حياة لماذا لا يعصى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به؟ لانه لا يأمر الا

بمعروف لماذا لا يدعى - [00:18:09](#)

من دون الله من لا يستجيب لمن دعاه لانه لا يستجيب وهذا وصف لكل من يدعى من دون الله وهلم جر في كل الموارد التي يكون

فيها القيد غير مقصود لاخراج - [00:18:24](#)

غيره انما المقصود فيه البيان والايضاح وهذه قضية مهمة ليعلم بها ان هذه القيود ليست لآ اخراج ما عداها فلا مفهوم لها فلا يجرى فيها مفهوم المخالفة وانما هي لاجل توضيح الاسباب وبيان المعاني - [00:18:44](#)

التي من اجلها اه جاء الامر او النهي في الايات نعم قوله تعالى وما كان الله يعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. هذه الاية الكريمة تدل على ان - [00:19:08](#)

مكة امانين يدفع الله عنهم العذاب بسببهما احدهما كونه صلى الله عليه وسلم فيهم. لان الله لم يهلك امة ونبي فيهم والثاني استغفارهم الله وقوله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام. يدل على خلاف ذلك والجواب من - [00:19:25](#)

طيب الوجه وجهة ايهام التعارض بين الايتين في الاية الاولى يقول الله تعالى وما كان الله ليعذبهم ما كان ان يمتنعوا في حكمته وحكمه ان يجري عذابا وان ينزل عقوبة - [00:19:47](#)

في قوم ولو كفروا فيهم نبي وفيهم من يستغفر وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما الاول اما الامان الاول فهو وجود النبي صلى الله عليه وسلم بينهم. واما الامان الثاني - [00:20:09](#)

فهو استغفار المستغفرين كما سيأتي من المستغفر؟ هل هم المشركون ام ام غيرهم انما وجود من يستغفر فوجود الاستغفار ووجود النبي صلى الله عليه وسلم فيهم يمنع من العذاب هذا ما دل عليه - [00:20:34](#)

قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وفي الاية الاخرى قال جل في علاه وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه - [00:20:57](#)

ان اولياؤه الا المتقون. هذه الاية فيها نفي استبعاد نزول العذاب بهم لاجل ما هم عليه من الصد عن سبيل الله والمسجد الحرام فيقول جل وعلا وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام - [00:21:17](#)

وما كانوا اولياءه اي وليسوا اولياء المسجد الحرام في قول وفي قول اخر وليسوا اولياءه اي وليسوا اولياء له جل في علاه فيأملون من العقوبة والعذاب واضح فهذه الاية تقرر ان العذاب منهم قريب - [00:21:40](#)

وان نزوله محتتمل وجه الجواب والجمع بين الايتين ذكر المؤلف رحمه الله فيه اربعة اوجه ذكر فيه اربعة اوجه يقول رحمه الله الجواب من اربعة اوجه الوجه الاول الاول وهو اختيار ابن جرير ونقله عن ونقله عنه قتادة والسدي وابن زيد ان الاماني منتفیان فالنبي صلى الله عليه وسلم - [00:22:01](#)

من بين اظهرهم مهاجرة واستغفارهم معدوم لاصرارهم على الكفر. اذا هذا بيان ان الامان الذي منع العذاب من اجله قد زال وارتفع فكان فكانوا مستحقين العذاب في قوله وما الا يعذبهم الله لارتفاع الامان. فالنبي خرج من مكة فليس فيهم واستغفارهم لا نفع فيه لاصرارهم على الشرك - [00:22:34](#)

والكفر فلا تعارض بين الايتين هذا الوجه الاول اختصارا الوجه الثاني ثم نرجع نقراً الباقي ان المراد بقوله الوجه الثاني من المراد بقوله يستغفرون استغفار المؤمنين مستضعفين بمكة الوجه الثاني ان انه زال امان - [00:23:02](#)

وبقي امان اخر اما الامان الذي زال فهو خروج النبي صلى الله عليه وسلم واما الامان الثاني فهو الاستغفار وهو قائم بالمؤمنين الذين بقوا في مكة وزال ذلك بعد صلح الحديبية يقول وعليه فالمعنى ان بعد خروجه صلى الله عليه وسلم كان استغفار المؤمنين سببا لرفع العذاب الدنيوي عن - [00:23:20](#)

كفار المستعجلين العذاب بقوله فامطر علينا حجارة من السماء يعني فيكون ارتفاع العذاب هو لوجود استغفار المستضعفين من المؤمنين الذين بقوا في مكة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله وسلم - [00:23:51](#)

الوجه الثالث من اوجه الجواب؟ الوجه الثالث ان المراد ان المراد بقوله وهم يستغفرون كفار مكة فيكون استغفارهم مانعا من العذاب الدنيا يقول رحمه الله وعليه فوجه الجمع ان الله يرد عنهم العذاب الدنيوي - [00:24:08](#)

بسبب استغفارهم اما عذاب الاخرة فهو واقع بهم لا محالة فتكون الاولى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون في العذاب الدنيوي واما وما لهم الا يعذبهم الله فهذا في العذاب - [00:24:34](#)

الآخروي الوجه الرابع؟ الوجه الرابع ان معنى قولي وهم يستغفرون اي يسلمون اي وما كان الله معذبهم وقد سبق في علمه ان منهم من يسلم ويستغفر الله من كفره فيكون تأخير العذاب - [00:24:51](#)

لا لاجل استغفارهم ولا لاجل استغفار المؤمنين المستضعفين انما لاجل ان الله تعالى علم ان منهم من سيسلم فرفع عنه نزول العذاب لاجل هذا مع استحقاقهم له ويدل لهذا ما ذكره الله تعالى في سورة الفاتحة - [00:25:07](#)

ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء فذكر علتين لعدم آآ انزال العذاب اولا وهو وقوع القتال بينه وبين اه بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الكفار - [00:25:30](#)

لولا رجال مؤمنون هو ان ثمة رجالا مؤمنين لم يتبين ايمانهم والثاني ليدخل الله في رحمته يعني في دينه من هؤلاء الكفار من يشاء فيكون قوله تعالى اه في اه قوله وهم يستغفرون اي يسلمون - [00:25:51](#)

وعلى هذا المعنى حمل قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فدعاؤه لهم بالمغفرة ليس ان الله يغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم ومن ذلك الشرك فان الله لا يغفر ان يشرك به وانما المقصود - [00:26:11](#)

بالمغفرة عدم مؤاخذتهم بما فعلوا من اذى النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والمعنى الآخر ان يغفر لهم فيسلمون ان يغفر لهم فيسلمون الله تعالى اعلم وان نقرأ هذا ان شاء الله بالتفصيل - [00:26:29](#)

في الدرس القادم هذه اوجه على وجه الاختصار - [00:26:47](#)